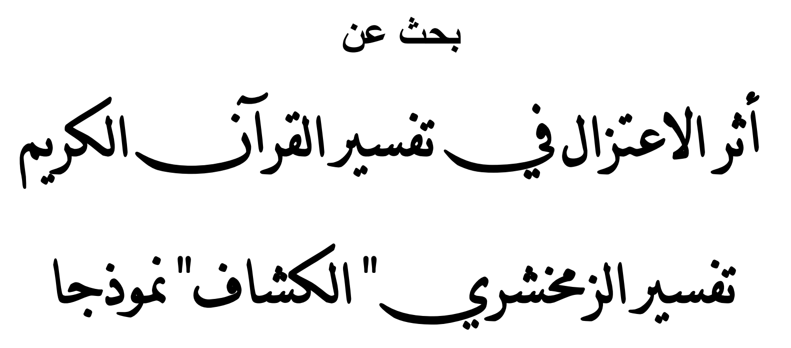
أثر الاعتزال في تفسير القرآن الكريم

تفسير الزمخشري (الكشاف) نموذجا

أسماء محمد سليمان جاد





بحث عن

أثر الاعتزال في تفسير القرآن الكريم

تفسير الزمخشري "الكشاف" نموذجا

إعداد

أسماء محمد سليمان جاد

باحثة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا..وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أنزل الله عز وجل على رسوله الكريم القرآن العظيم هدى للناس ونوراً يهتدون بهديه ويعملون بإحكامه فتلقاه الصحابة-رضوان الله عليهم-بالعلم والعمل وفهموه فهماً صحيحاً، وما أستشكل عليهم سألو ا عنه، وحملوه إلى من بعدهم، ولم تظهر خلافات في التفسير حتى اتسعت الرقعة الإسلامية، وظهرت فرق إسلامي ة وتجددت نظرات تفسيرية لم يكن لها وجود من قبل، وهذا يرجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة، ازدادت نواحي الغموض في التفسير، حتى ألفت كتب عديدة مفسرة لكتاب الله، ووجد من العلماء من يحاول نصرة مذهبه، والدفاع عن عقيدته، بكل وسيلة وحيلة ، وكان القرآن الكريم هدفهم الأول الذي يقصدون إليه، فقاموا بإخضاع الآيات القرآنية لمذهبهم، والميل بها مع أهوائهم .

ومن أهم الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في معتقداتها المعتزلة ويتضح هذا الخلاف في كتاب الكشاف للإمام الزمخشري الذي جعل من آيات الله هدفاً لنصرة مذهبه الاعتزالي ، والذي يعد من أهم كتبهم وأشهرها وفي هذا البحث بيان لمذهب الزمخشري المعتزلي وكيف أثر فكره على تفسير القرآن وبيان معانيه

وأسال الله عز وجل التوفيق من عنده والعون





الفصل الأول: تعريف بالمعتزلة وتاريخهم

المبحث الأول : تعريف بالمعتزلة.

المعتزلة هي مدرسة كلامية من أشهر مدارس الفكر والكلام التي عرفها العالم الاسلامى وأقدمها لذلك تعد المؤسس الحقيقي لعلم الكلام [١]، ظهرت المعتزلة في القرن الثانى الهجري في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب والفكر في الدولة الإسلامية العربية .[٢]

وظهر الاعتزال نتيجة لتفاعل عوامل عديدة تقف في مقدمتها الاختلافات السياسية والفكرية بشأن قضية تعيين الخليفة الشرعي للأمة وما تمخض عن ذلك من فتن عصفت بكيان المسلمين ، وخلطت الحق بالباطل ، فظهرت نتيجة لذلك مذاهب وآراء حاول أصحابها من خلالها تحديد الموقف الصحيح إزاء تلك الفتن والملابسات كان ضمنهم الخوارج والمرجئة ثم المعتزلة الذين أصروا أن يتخذوا موقفا وسطا بين الفريقين السابقين فقالوا بالمنزلة بين المنزلتين.[٣]

وفيما يتعلق بتحديد التاريخ الدقيق الذي ظهرت فيه حركة الاعتزال فان الغالبية العظمى من المؤرخين يكادون يتفقون على أن حركة الاعتزال نشأت بمفهومها العلمي الدقيق اعتبارا من بداية القرن الثانى الهجري . [٤] وأما بالنسبة للمكان فقد انطلقت حركة الاعتزال فهو بلا شك البصرة وذلك نظرا إلى أن الحسن البصري وواصل بن عطاء كان مركز نشاطهما البصرة . [٥]

وأما بالنسبة إلى سبب تسميتهم بالمعتزلة فأغلب المؤرخين على أنهم سموا بالمعتزلة لأنهم اعتزلوا أصحاب الرأيين اللذين كانا سائدين بشأن حكم مرتكب الكبيرة فاعتزلوا أو استقلوا عنهم بقولهم بالمنزلة بين المنزلتين ، أو لاعتزالهم الحسن البصري واستقلالهم عنه بالرأي .[٦]

وقد تطورت المعتزلة في القرنين الثانى والثالث الهجري ، فقد استمرت حياة هذه الفرقة مع شئ من التقلبات قوة وضعفا ، حتى القرن الرابع الهجري مع تطورهم وازدهارهم وانتشار مذهبهم خصوصا في عصر المأمون (170-218 هـ) ،حيث أصبح مذهبه المذهب الرسمي للدولة الإسلامية.[٧]

وبصورة عامة يمكن القول بأن المعتزلة لم تكن على وئام مع السلطة أثناء العصر الأموي ، لذلك فان مذهبهم لم يكتب له عظيم الانتشار والتوسع في ذلك العصر فكان حالهم في ذلك كحال الكثير من المذاهب الإسلامية .

ومع ذلك فان مسيرة التطور الحقيقي الذي كان من نصيب المعتزلة في التاريخ الاسلامى لم تكن إلا مع بداية العصر العباسي (132 هـ) حيث كانت الحكومة العباسية منفتحة أكثر من الحكم الأموي من الناحيتين السياسية والفكرية. فمثل هذه الأجواء المنفتحة هيأت المناسبة لتطور المعتزلة من خلال ممارستهم لنشاطاتهم الفكرية المتمثلة في التأليف والمناظرات والمجادلات والنقاشات على أوسع نطاق . [٨]وقد استطاع المعتزلة في القرن الرابع الهجري أن ينشروا مذهبهم في نطاق واسعة من العالم الاسلامى وخاصة العراق وخراسان وما وراء النهر كما اعتنق فريق من مشاهير الفقهاء هذا المذهب .[٩]

---

[١] المعتزلة للدكتور زهدى جاد الله ص 1

[٢] أصل العدل عند المعتزلة لهانم إبراهيم يوسف ص 16

[٣] تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم د فالح الربيعي ص 18 و 19 .

[٤] المرجع السابق ص 19 .

[٥] المرجع السابق ص 19 .

[٦] المرجع السابق ص 19 .

[٧] المرجع السابق ص 23 .

[٨] تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم د فالح الربيعي ص 24 .

[٩] المرجع السابق ص 25 .





المبحث الثاني : الأسماء التي سميت بها المعتزلة وعلماؤها :

أولا : الأسماء التي أطلقوها على أنفسهم:

اتخذ المعتزلة لأنفسهم عدة أسماء وهي كالآتي:

1- المعتزلة : وقد سبق أنه اسم ذم وهو كذلك إلا أن المعتزلة حينما رأوا ولع الناس بتسميتهم به أخذوا يدللون على أنه اسم مدح بمعنى الاعتزال عن الشرور والمحدثات واعتزال الفتن والمبتدعين على حد قوله تعالى: (واهجرهم هجرا جميلا) .[١]

٢ -أهل العدل والتوحيد أو "العدلية ": والعدل عندهم يعنى نفي القدر عن الله تعالى، أو أن تضاف إليه أفعال العباد القبيحة، والتوحيد عندهم يعنى نفى الصفات عن الله تعالى، وتسميتهم بالعدلية اسم مدح اخترعوه لأنفسهم. وقد كان المعتزلة يفضلون هذا الاسم فقد كان الصاحب بن عباد أحد أشياخهم إذا تحدث عنهم لم يذكرهم إلا بهذا الاسم .

٣ -أهل الحق: يعتبر المعتزلة أنفسه أهل الحق والفرقة الناجية ، ويدعون خصومهم بأسماء مختلفة فقد كانوا يرون أنهم على حق وأن غيرهم على الباطل . ويظهر أن هذه الفكرة كانت قديمة عندهم فان عمرو بن عبيد حين قال له المنصور :" أبا عثمان أعنى بأصحابك ؟ قال له ارفع علم الحق يتبعك أهله ."

٤ -الفرقة الناجية: لينطبق عليهم ما ورد في فضائل هذه الفرقة. [٢]

ثانيا : بعض الأسماء التي أطلقها العلماء علي المعتزلة:

أطلق العلماء علي المعتزلة عدة أسماء منها :

1- المعتزلة الجهمية: وذلك لأن ظهور المعتزلة كان بعد ظهور الجهمية و لأنهم هم الذين أحيوا آراء الجهمية وكذلك لاتفاق المعتزلة والجهمية في مسائل عقدية ، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية. فالجهمية أعم من المعتزلة فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزليا .

2-القدرية: بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر وإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لا عليهم، لأنهم لا يقولون بذلك، بل يقولون بأن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم.

3- الثنوية والمجوسية: وسبب تسميتهم بهذا الاسم أن مذهبهم يقرر أن الخير من الله والشر من العبد، وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين: أحدهما للخير والآخر للشر.

4-الوعيدية: وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة، وأن الله تعالى لا خلف في وعده ووعيده، فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت.

5-المعطلة : وهو اسم للجهمية و أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة". [٣]

6 – الخوارج : ينسب المعتزلة بعضهم إلى الخوارج ويدعوهم بمخانيث الخوارج ، وذلك لأن المعتزلة ولا سيما شيخهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار ، مع قولهم أنه ليس بكافر. [٤]

---

[١] سورة المزمل آية (10)

[٢] انظر المعتزلة لذهدى جاد الله ص 5 و 6 و 7 .

[٣] انظر المعتزلة لذهدى جاد الله ص 8 و 9 و 10

[٤] المرجع السابق ص 9 .





ثالثا : أسماء مشاهير المعتزلة :

كان للمعتزلة رجال مشاهير لهم أثر بارز في انتشار أفكارهم وذيوعها ومن هؤلاء المشاهير:

بشر بن السري وثور بن زيد المدني وثور بن يزيد الحمصي وحسان بن عطية المحاربي و الحسن بن ذكوان وداود بن الحصين و زكريا بن إسحاق وسالم بن عجلان و سلام بن عجلان و سلام بن مسكين و سيف بن سليمان المكي وشبل بن عاد وشريك بن أبي نمير و صالح بن كيسان وعبد الله بن أبي لبيد وعبد الله بن أبي نج وعبد الأعلى ابن عبد الأعلى وعبد الرحمن بن إسحاق المدني و عبد الوارث بن سعيد الثوري وعطاء بن أبي ميمونة والعلاء ابن الحارث وعمرو بن أبي زائدة وعمران بن مسلم القصير وعمير بن هانيء وعوف الأعرابي وكهمس بن المنهال ومحمد بن سواء البصري و يحيى بن حمزة الحضرمي وهشام الدستوائ ي و وهب بن منبه وهارون بن موسى الأعور النحوي ...وغيرهم

قال السيوطي: "هؤلاء رموا بالقدر وكلهم ممن روى له الشيخان أو أحدهما " .[1]

---

[1] انظر تاريخ الجهمية والمعتزلة . ص 76 و 77 .





المبحث الثالث: الجهمية وعلاقتهم بالمعتزلة:

أولا: من هم الجهمية

إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلي الإسلام ، وهم أساس البلاء والشقاء والاختلاف والافتراق في هذه الأمة فهم مقدمي العقول والآراء علي كتاب الله وسنة نبيه الإكرام – صلي الله عليه وعلي آله وصحبه وسلم.

ثانيا: مؤسس الجهمية وسبب تسميتهم بهذا الاسم

تنسب الجهمية إلي رجل يدعي الجهم بن صفوان الخراساني ، ظهر في المائة الثانية من الهجرة سنة 2هـ،ويكني بأبي محرز، وكان مولى لبني راسب إحدى قبائل الأزد ، وكان الجهم كثير الجدال والخصومات والمناظرات، وشغله علم الكلام ، وقال عنه الأشعري بعد أن ذكر جملة من آرائه الاعتقادية التي تفرد بها، قال: "وكان جهم ينتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[١]

وقال عنه الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنه:"وكذلك الجهم وشيعته دعوا الناس إلي المتشابه من القرآن والحديث فضلُّوا وأضلُّوا بكلامهم بشراً كثيراً، فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام" [٢].

ثالثا: درجات الجهمية

قسم شيخ الإسلام الجهمية إلي ثلاث درجات:

الدرجة الأولي: وهم الجهمية الغالية النافون لأسماء الله وصفاته، وإن سموه بشيء من الأسماء الحسنى قالوا: هو مجاز.

الدرجة الثانية من الجهمية: وهم المعتزلة ونحوهم، الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته.

الدرجة الثالثة: وهم قسم من الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، ولكن فيهم نوع من التجهم، وهم الذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ولكنهم يريدون طائفة من الأسماء، والصفات الخبرية وغير الخبرية ويؤولونها.

ومنهم من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه، وطائفة من أهل الحديث. ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضاً في الجملة، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، وذلك كأبي محمد بن كلاب ومن اتبعه.

رابعا: مصدر مقالة الجهمية

استمد الجهم بن صفوان فكره من طريقين ، أحدهما يهودي والآخر وثني .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (أصل هذه المقالة – التعطيل للصفات – وإنما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام – أعني أن الله سبحانه وتعالي ليس على العرش حقيقة وإنما استوي بمعني استولى ونحو ذلك...

هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد ابن درهم فيما قيل : من أهل حران .

وكان فيهم خلق كثيرة من الصابئة والفلاسفة ،بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين ،الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم)1.

---

[١] مقالات الإسلاميين 1 / 238

[٢] الرد على الزنادقة والجهمية ص 23.





خامسا: أهم عقائد الجهمية

للجهمية آراء وعقائد عدة لا يتسمع المقام في هذا البحث الصغير لتفصيلها لذا سوف نعرض أهم هذه العقائد إجمالا :

أ- مذهبهم في التوحيد؛ هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل ويجعلون أسماء الله من باب المجاز.

ب - القول بالجبر والإرجاء.

ج- إنكار كثير من أمور اليوم الآخر مثل:

1 - الصراط.

2 - الميزان.

3 - رؤية الله تعالي.

4 - عذاب القبر.

5 - القول بفناء الجنة والنار.

6- ومنها نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله، والقول بأن القرآن مخلوق.

7- وأن الإيمان هو المعرفة بالله.

8- ونفي أن يكون الله تعالي في جهة العلو.

9- والقول بأن الله قريب بذاته، وأن الله مع كل أحد بذاته عز وجل، وهذا هو المذهب الذي بني عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم..

د - القول بخلق القرآن.[١]

فهم بذلك يتفقون مع المعتزلة التي هي جزء منهم في كثير من الأمور والعقائد ومنها مجملا:

1- ذهبوا إلى أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء في قول الله تعالي ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾.[٢] وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه ، كما قال أهل الحق.

2- نفوا صفات رب العالمين، وزعمت أن معنى (سميع بصير) سواء بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن سمع الله هو بصره، وهو رؤيته، وهو كلامه، وهو علمه، وهو ابنه . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

3- أجمعوا على أن الله لا يرى بالأبصار.

4- اختلفوا في صفة الكلام لله تعالى: فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله تعالي وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك.

5- إنكار الحوض وعذاب القبر.

6- إنكار صفات الله عز وجل صفاته تعالى وأظهروا أن ذلك تنزيه لله عز وجل ولكن باطن ما أظهروه هو تمام التشبيه ، ولقد أدي هذا التشبيه والتعطيل إلي نفي صفات الله عز وجل.[٣]

---

[١] انظر فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام . د/ غالب بن على

[٢] سورة طه آية 5

[٣] انظر الإبانة في أصول الديانة لأبى الحسن الأشعرى .





المبحث الرابع: تأثير الديانات والمعتقدات غير الإسلامية على المعتزلة :

قد أسهمت الديانات والمعتقدات التي كانت سائدة في البلدان والأقطار التي شملتها الفتوحات الإسلامية ، أو العناصر الغير عربية والغير إسلامية التي امتزجت مع المجتمع الاسلامى أسهمت بقدر كبير في ترك تأثيراتها الواضحة على الدراسات والبحوث العقيدية لدى المسلمين عموما ، والمعتزلة خصوصا.[١]

ولقد كانت الإمبراطورية الإسلامية مترامية الأطراف تضم في داخله أقطارا وبلدان عديدة منها العراق ، حيث غلبت المجوسية بفرقها المتعددة والصائبة والسمنية ، ومنها أيضا سورية ، ومصر حيث المسيحية واليهودية ، والثقافة اليونانية .[٢]

ومما لا شك فيه أن أتباع هذه الديانات أو من أسلم منهم أسهموا في إثارة مسائ ل وموضوعات لاهوتية بين المسلمين تتصل بالعقائد وأصول الدين .وأن الكثير من علماء الإسلام ومنهم المعتزلة بشكل خاص قد اهتموا بهذه المسائل والموضوعات ودرسوها بعناية فائقة ليوافقوها والتعاليم الإسلامية .[٣]

أولا : تأثيرات الديانة اليهودية

فالنسبة للديانة اليهودية فإنها قد مارست بعض التأثير في ظهور النزاعات الكلامية لدى المسلمين فمنها القول بخلق القرآن فقد روى ابن الأثير في هذا المجال أن لبيد بن الأعصم اليهودي كان يقول بخلق التوراة ، وأن ابن أخت طالوت صنف في خلق القرآن .فكان أول من فعل هذا في الإسلام .
وذكر الخطيب البغدادي أن ابن بشر المريسى المرجئ المعتزلى أحد كبار الدعاة إلى خلق القرآن أن أبله يهودي صباغا بالكوفة.

ثانيا : تأثير الديانة المسيحية

تعتبر الديانة المسيحية الديانة الأكثر تأثيرا من الناحية الكلامية والعقائدية في ظهور المعتزلة ،ومن المعلوم أن المسيحيين كانوا أكثر أتباع الأديان إثارة إلى للمسائل اللاهوتية التي كانت تحظى بعلمائهم أنفسهم .ومما يؤكد التأثير الكبير الذي مارسته الديانة المسيحية على مدرسة الاعتزال أن أتباعها وجدوا المجال للنفوذ في المجتمع الاسلامى اعتبارا من العصر الاموى، فالمصادر التاريخية تذكر لنا أن الأمويين كانوا يقربون المسيحيين ويستعينون بهم ويسندون إليهم بعض المناصب الرفيعة .فعلى سبيل المثال فقد جعل معاوية بن سفيان سرجون الرومي المسيحي كاتبه وصاحب أمره . وبعد مماته تولى ابنه يحيى الدمشقي الذي كان عالما كبير القدر من علماء المسيحيين ، وقديسا محترما في الكنيستين الشرقية والغربية، وآخر علماء اللاهوت الكبار وأول علماء الكلام المسيحي.[٤] ويظهر تأثير المسيحية أكثر وضوحا عندما نعلم أن المناظرات بين المسلمين والمسيحيين كانت قائمة على قدم وساق في المسائل العقيدية كما تشير إلى ذلك كتابات يحيى الدمشقي.[٥] فهذا التأثير المسيحي قد شمل المعتزلة بصورة عامة متمثلا في آراء يحيى الدمشقي وخلفه أبى قرة الذي كان تجرى مجادلات دينية بينه وبين علماء المعتزلة في حضرة المأمون .[٦]

---

[١] المعتزلة فكرهم وعقائدهم. ص 35.
[٢] المرجع نفسه ص 35.
[٣] المرجع السابق ص 35.
[٤] المرجع السابق ص 36.
[٥] المعتزلة فكرهم وعقائدهم ص 36.
[٦] المرجع السابق ص 37.





ثالثا: تأثيرات الثقافة الهندية

كان للثقافة الهندية تأثير عميق على الحضارة الإسلامية وخصوصا بين أوساط المتكلمين، فمن بين العقائد التي عرفت بها الفلسفات الهندية وانتقلت إلى المذاهب الإسلامية القول بتناسخ الأرواح.والذي يهمنا من ذلك أن البعض من المتكلمين ومن بينهم متكلمو المعتزلة خضعوا لتأثير هذه العقيدة مثل (أحمد بن حابط) الذي تنسب إليه الفرقة الحابطية في المعتزلة .ويشير صاحب الأغاني (الأصفهاني) أن البعض من المتكلمين ومنهم جرير بن حازم الأزدى اعتنقوا مذهب (السمنية) الذي يعتبر أحد المذاهب الهندية .
وفى مجال التصوف يمكن القول ب أن التصوف الاسلامى لم يسلم من تأثيرات المذاهب الفلسفية الهندية في مجال التصوف والرياضيات الروحية التي عرفت بها الفلسفات الهندية .[1]

يستخلص مما سبق أن البيئة التى نشأ فيها المعتزلة اعتبارا من بداية القرن الثانى وحتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري قد كانت بيئة نشطة حافلة بالتيارات الفكرية والعقيدية المختلفة التى كان منشؤها بشكل رئيسي اختلاط العرب بالأمم والشعوب الأخرى من حملة الحضارات واتساع نطاق حركة الترجمة والنقل من الثقافات الأخرى وخصوصا الثقافة الفارسية والهندية واليونانية، فجاء على أثر ذلك مذهب الاعتزال مذهبا متطورا يعتمد على الثقافة العقلية وأساليب وأصول البحث العلمي
والمنطقي والفلسفي في صياغة مبادئه ، وفى تعامله مع الأديان والمعتقدات والمذاهب الأخرى.[2]

[1] المرجع السابق ص 39.
[2] المعتزلة فكرهم وعقائدهم ص 41.





المبحث الخامس: أثر المعتزلة في الفكر الاسلامي :

لا يمكن لأحد أن ينكر أثر المعتزلة ودورهم الفعال الإيجابي في تحرير الفكر الاسلامى من حالة الجمود على النص وإتباع الأساليب التقليدية في النقاش والحوار ، والاكتفاء بالنصوص القرآنية والأحاديث وحدها في الرد على معارضي الفكر الاسلامى من مشككين وزنادقة وملاحدة ، وأصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى الغريبة عن روح الدين الاسلامى ومبادئه ، والذين كان المجتمع الإسلامى يعج بهم أثناء فترة الحكم العباسي نتيجة لاختلاط المجتمع الاسلامى بعناصر عديدة من الأمم والشعوب الأخرى التى حملت معها معتقداتها ، ومبادئها ، وافكارها ، ونشاط حركة الترجمة من تراث تلك الأمم والشعوب[1].

أولا : دور المعتزلة في التوفيق بين السنة والعقل

فقد برز دور المعتزلة الكبير في التوفيق بين العقل ، وبين الفكر الاسلامى الأصيل وبين المعطيات الفكرية للثقافات والحضارات الأخرى وخصوصا الحضارة اليونانية الهلينية ، فقد اكتشفوا أن الطريق الأمثل للدفاع عن المعتقدات الإسلامية إزاء أصحاب المعتقدات الأخرى الذين كانوا يحاول ون دوما النيل من تلك المعتقدات ، هو الاطلاع على الأساليب العقلية والمنطقية والكلامية والفلسفية التى تتبعها تلك الثقافات والحضارات في إثبات أسسها ومبادئها ، وتمثل تلك الأساليب وتوظيفها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وتقديمها في صورة مقبولة ومقنعة إلى حملة المعتقدات والديانات الأخرى.[2]

ثانيا : جهاد المعتزلة في نشر العقيدة الإسلامية

تروى لنا الكتب صورا عن جهاد المعتزلة في نشر العقيدة الإسلامية من خلال نفس السلاح الذي الفلسفي والمنطقي الذي كان يتسلح به أعداء الإسلام والدين الاسلامى آنذاك من الزنادقة والملحدين.ويُروى في هذا الصدد أن أبا الهزيل العلاف كان من أشد رجال المعتزلة صلابة عود وقوة حجة وكان من أكثرهم دأبا للرد على المعاندين ومناظرة المخالفين .فقد روى عنه أنه ألف ستين كتابا يبطل فيه حجتهم ويفند أقاويلهم.
فهكذا كان الحال بالنسبة إلى زعماء المعتزلة الآخرين مثل واصل بن عطاء وثمامة بن أشرس ، وبشر بن المعتمر والجاحظ وغيرهم الكثيرين .[3]

ثالثا: خدمات المعتزلة للفكر الاسلامى

يمكن تلخيص الخدمات التي قدمها المعتزلة إلى الفكر والحضارة الإسلامية والتأثيرات التى تركوها فيها فى النقاط التالية :

1-أسهموا بشكل فعال في نقل التراث والثقافة اليونانية في جانبها الفلسفي والعقلي إلى الحضارة الإسلامية ، وذلك من خلال اطلاعهم على تلك الثقافة ، وتمثلهم لمعطياتها العقلية والفلسفية.

١ - قد كان لهم الفضل الأكبر في الجمع بين الدين والفلسفة في حين كان يبدو أن من المستحيل الجمع بينهما وخصوصا من وجهة نظر أهل السنة الذين كانوا يرون في النزعة الفلسفية نوعا من الزندقة والإلحاد والخروج عن قواعد الدين.

٢ - بفضل تسلح المعتزلة بسلاح الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وأساليب الجدال والمناظرة فأنهم قد أدوا دورا كبيرا وبارزا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية إزاء المعتقدات والديانات الأخرى السماوية المحرفة منها كالمسيحية واليهودية ، والمشركة والإلحادية كالمجوسية والثنوية والمانوية ، وقد تمثل هذا الدور إما في مناقشة وإبطال حجج أصحاب تلك المعتقدات والديانات أو في دعوة غير المسلمين الطالبين للحقيقة إلى الإيمان بالعقيدة الإسلامية.

---

[1] المعتزلة فكرهم وعقائدهم. ص 20.
[2] المرجع السابق ص 21
[3] المرجع السابق ص 21.





٣ -قد أرسى المعتزلة دعائم حركة عقلية واسعة كان لها أكبر الأثر في صياغة الحضارة الإسلامية ، نظرا إلى مذهبهم كان يقوم على الأساس على احترام العقل وتمجيده والتعويل عليه في استنباط واستنتاج الكثير من الأحكام الشرعية من جهة ، وأساليب التفكير السليم من جهة أخرى.

4- على أثر اعتماد المعتزلة على العقل كمرجع أساس في استنباطهم ، وتقريراتهم ونتيجة لعدم جمودهم على النصوص ، وتعبدهم بها بشكل مبالغ فيه ، فقد لعبوا دورا كبيرا في اساعة أجواء حرية التفكير ، والعقل ، ونحن نلاحظ هذا الاتجاه بشكل واضح في عصر المأمون ، وفى القرن الرابع الهجري.[١]

وقد بلغت هذه النهضة العقلية الجديدة التى أرسى المعتزلة دعائمها حدًّا من العمق والتأثير والاتساع بحيث إنها تركت آثارها حتى على علم أهل السنة أنفسهم. وقد تجلى هذا التأثير بشكل خاص لدى الأشاعرة رغم عدائهم للمعتزلة ، وحربهم الفكرية ضدهم وانضمام الكثير من أهل السنة إلى صفوفهم ، فقد آمنوا مع المعتزلة بأن البرهان المؤسس على العناصر النقلية لا يعطينا أي يقين ، وكانوا في بحوثهم الكلامية متأثرين بالمعتزلة الى حد كبير .[٢]

---

[١] المعتزلة فكرهم وعقائدهم ص 23

[٢] المرجع السابق ص 23.



الفصل الثانى: الزمخشرى وكتابه الكشاف في تفسير القران الكريم

أولا : أسمه وكنيته ومولده

هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي . ويكنى بأبي القاسم، ولد بزمخشر سنة سبع وستين وأربع مائة من الهجرة . كان الإمام الزمخشري معتزلي المعتقد متعصب له ينتصر له ويؤيده بكل ما يملك من قوة الحجة وسلطان الدليل. والقارئ لكتابه في التفسير الكشاف يجد ذلك واضحا[1].

وقد كان الإمام الزمخشري-رحمه الله_ متظاهرآ باعتزاله ومن ذلك: نقل عنه أنه إذا قصد صاحباً له واستأذن عليه في الدخول، يقول لمن يأخذ له الأذن " قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب "،كما أنه أول ما صنف الكشاف استفتح الخطبة بقوله :" الحمد لله الذي خلق القرآن". وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية_ رحمه الله_حينما سأله طالب علم عن تفسيره: "وأما الزمخشري فتفسيره محشو بالبدعة على طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤيه والقول بخلق القرآن...وغير ذلك من أصول المعتزلة" . وكان مذهبه الفقهي حنفي ، معتدل فيه لا يتعصب له وحين يذكرالمسائل الفقهية في تفسيره يذكر الأقوال المخالفة له ويرجحها عليه في بعض الأحيان.[2]

عصره ومكانته العلمية

يعتبر عصر الزمخشري ثمرة العصور السابقة في ميدان العلم والأدب فقد نبغ فيه الكثير من العلماء والأدباء والشعراء وخصوصا في منطقة خوارزم ،فقد كانت الثقافة الإسلامية تلقى تشجيعا كبيراً من الحكام والسلاطين كما وقد كان أهل خوارزم شغفا بالعلم والإقبال على العلماء فقد كانوا أهل علم وفهم وفقه

فممن نبغ من بين هولاء العلماء والأدباء الإمام الزمخشري حيث كان واسع العلم، رأسا في البلاغة والمعاني والبيان وقد شهد له بذلك عدد من العلماء ومن ذلك ما قاله الأمام السمعاني- رحمه الله:" كان يضرب به المثل في علم الأدب والنحو لقي الأفاضل والكبار وصنف في التفسير وشرح الأحاديث وفي اللغة."[3]

وقال الأمام الذهبي- رحمه الله- في ترجمته:"هو العلامة كبير المعتزلة النحوي ،صاحب الكشاف والمفصل كان رأسا في البلاغة والعربية والبيان وله نظم جيد). أيضاً يقول الأمام السيوطي -رحمه الله - : "كان واسع العلم،كثير الفضل ،غاية في الذكاء وجودة القريحة،متفنناً في كل علم معتزلياً قوياً في مذهبه،مجاهراً به، داعياً إليه، علامة في الأدب والنحو".

ومن مؤلفاته:الكشاف في تفسير القرآن العظيم، والفائق في الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وربيع الأبرار..وغيرها من المؤلفات.[4]

ثانيا : تاريخ وظروف تأليف الكشاف

يحدثنا الزمخشرى في مقدمة الكتاب أنه لبث ثلاثة أعوام في تفسير الكتاب ، ولعله كان مشغلته مده جوازه الثانى .يقول " ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه ".والى جانب العامل الديني الذي أصبح يسيطر على تأليفه في أخريات حياته ، فان هناك عوامل أخرى دفعته لتفسير كتابه الكشاف . فقد كان علماء المعتزلة الجامعون بين الكلام واللغة يستفتونه في تفسير بعض الآي فإذا فسر طربوا وأعجبوا واشتاقوا الى مصنف يضمن هذا التفسير ويسير على نهجه . ثم اقترحوا عليه أن يملى عليهم الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فهم الذين أرادوا منه مادة الكشاف . ويبين من عنوانه أن غايتهم أن يفسر القران تفسيرا اعتزاليا يتضمن الوجوه المعنوية المحتملة لمعاني النص القرآني .[5]

---

[1] الرد على الجهمية لمحمد بن إسحاق وانظر الموقع www. Alaqia .com
[2] انظر التفسير والمفسرون. للإمام الذهبي وانظر الموقع الالكتروني www.alaqida.com
[3] انظر التفسير والمفسرون ج 1 ص 480.
[4] المرجع السابق .
[5] منهج الزمخشرى في تفسير القران وبيان إعجازه للحوينى ص 76 و 77.



ولئن رأينا في مقدمة الكتاب الزمخشري يشكو من رثاثة أحوال زمانه وتقاصر همم رجاله ، فهي شكوى عهدنا لها دوما من العلماء ، وان كان محقا فيها . فليس السبب في استعفائه تحقيق ما أمل رجال المعتزلة من تأليف تفسير يشمل القران جميعها ولكن السبب الحقيقي فيما نرى أنه كان قد كبر سنه فهل له أن يفسر القر آن الذي يرى أنه مؤسس على علمي المعاني والبيان ، وأن من أراد التفسير فلتكن أولى أدواته محاولة شاقة عسيرة تستلزم كثير وقت الجهد ، ولهذا فقد أملى على علماء المعتزلة الذين ألحوا عليه واستشفعـــوا بأسلافهم من علماء العدل والتوحيد مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة .وأجرى تفسيره على طريقة حوارية وتفصيلية فيها السؤال والجواب وأراد له أن يكون منهجا ينهجه من يريد التفسير ورسما يتبعه من أوتى الأداة والجهد والوقت .[١]
ومنذ بداية تفسيره وضع لنفسه خطة يسير عليها وهى ألا يسير على تلك الطريقة التفصيلية المتوسعة التى سار عليها في مملاه التفسيري الأول بل أخذ في طريقة أحصر وأوجز لأنه كان قد تجاوز الستين من عمره من ناحية ثم هو يبغى تفسير القرآن جميعه من ناحية أخرى والناس تنتظر ثمرة عمله من ناحية ثالثة ، فحدا به ذلك كله الى أن يوجز ما استطاع في تفسيره .[٢]

ثالثا: مصادر الكشاف

1 ـ مصادر التفسير :
لم نر الزمخشرى يشمخ له شموخه هذا بالكشاف الذي يحق أن نعده ممثلا لنضجه العلمي . ففيه يبدو رجلا هضم التفسير النقلى ووعى ما أثر فيه ، كما روى الحديث وأتقنه ، وأحاط خبرا بالمسائل الفقهية ودقيق الخلاف فيها ، وألم الماما واسعا بالقراءات وفروق ما بينها ، كما اطلع على مجموعة ضخمة من الشعر والنثر . ويبين فيه أن الزمخشرى رجلا لغويا مقتدرا ومتكلما منطقيا جدلا ذ وذواقة مرهف الحس لجمال النص القرآني . وهذه الخصائص ولا شك وليدة ثقافته التى ثقفت حياته كلها . فتفسيره انعكاس لما تمثله من هذه الثقافات ، وقد ذكر لنا الزمخشرى كتب تردد إليها في التفسير وكان الغالب عليها الكتب اللغوية وأصحابها معتزلة حيث أنه معتزلي حتى في مظانه التى تردد إليها في التفسير.[٣]ومن المصادر التى رجع إليها الزمخشرى في التفسير :
- تفسير مجاهد
- تفسير عمرو بن عبيد المعتزلى
- تفسير أبى بكر الأصم المعتزلى
- تفسير الزجاج ، وقد أفاد الزمخشرى من تفسير الزجاج شيئين : أولهما اللغوى للقرآن وثانيهما مجمل التفسير النقلى الذي صنفه الزجاج وهذا هو البيان .[٤]
- تفسير الرمانى المسمى بالتفسير الكبير .[٥]
- تفاسير العلويين . فهو يكثر من النقل عن على ابن أبى طالب ، وعن جعفر الصادق ، وكثير منهم.
- تفاسير الفرق المعادية للاعتزال كتفاسير المشبهة والمجبرة ، والخوارج ، وتفاسير الرافضة والمتصوفة وهو يسم هذه التفاسير بالبدعة .[٦]

2 ـ مصادر أخرى : هناك العديد من المصادر التى رجع إليها الزمخشرى فى تفسيره الكشاف فمنها مصادر الحديث النبوي ونراه لم يرد لنا إلا في تفسيره إلا صحيح مسلم .[٧]

[١] المرجع السابق ص 77 .
[٢] المرجع نفسه ص 78.
[٣] منهج الزمخشرى في تفسير القران وبيانه ص 79.
[٤] المرجع السابق ص 80
[٥] المرجع السابق ص 85 .
[٦] المرجع السابق ص 89
[٧] المرجع نفسه ص 89.





أما بالنسبة الى مصادر القراءات فقد أخذ من مصاحف وأمصار مختلفة منها:
- مصحف عبد الله بن مسعود
- مصحف الحارث بن السويد صحاب عبد الله
- مصحف أُبيٍّ
- مصاحف أهل الحجاز والشام ، وغيرها من المصاحف .[1]

كذلك تنوعت مصادر اللغة والنحو ومنها :
- كتاب سيبويه الذي يشهد به الزمخشرى كثيرا بل انه يقدسه.
- كتاب إطلاق المنطق لابن السكيت
- الكامل للمبرد
- كتاب المتمم في الخط والهجاء لعبد الله بن درستويه
- كتاب الحجة لأبى على القاسمى ، والحلبيات لأبى على القاسمى
- التمام لابن جني
- كذلك المحتسب لابن جني
-التبيان لأبى الفتح الهمدانى ... وغيرها من الكتب والمصادر .[2]

واستعان كذلك الزمخشرى في تفسيره بمصادر الأدب العربي منها:
- الحيوان للجاحظ
- حماسة لأبى تمام
- كتاب استغفر واستغفرى لأبى العلاء المعرى
- وبعض كتب الزمخشرى كنوابغ الكلم ، وكتاب شافي العي من كلام الشافعي وكتاب النصائح الصغار.[3]

وأيضا هناك كتب للوعظ والأساطير استعان بها الزمخشرى في تفسيره الكشاف ومنها :

- بعض كتب الوعــظ والتصوف فهو ينقل أقوال المتصوفة الأول كشهر بن حوشب ورابعة البصرية وطاووس ومالك بن دينار .
- بعض الكتب القصصية والأسطورية فهو مثلا يقول :" ومر بى في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة ..." [4]

---

[1] المرجع السابق ص 90.
[2] منهج الزمخشرى في تفسير القران وبيانه ص 90 و 91.
[3] المرجع السابق ص 91
[4] المرجع السابق ص 92.





المبحث الثالث : منهج الزمخشرى فى تفسير القران الكريم :

قبل أن ندرج في توضيح منهج الزمخشرى في تفسير للقران في كتابه الكشاف ، لابد أن نوضح أولا شخصيته من عدة جوانب

الجانب الأول :شخصيته كمعتزلي

فالزمخشرى كغيره من المعتزلة مؤمن بالعقل مقدس له فنراه يقول :" امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالرواية عن فلان وفلان . فما أسد المحتجب فى عرينه أعز من الرجل المحتج على قرينه . وما العنز الجرباء تحت الشمال البليل . أذا من المقلد عن صاحب الدليل ". [١]
والعقل عند الزمخشرى يسبق السنة والإجماع والقياس ما دام يسبق السمع . والعقل عنده أيضا كالآلة يفسر ويجول بها في النص كاشفا منقبا وهو يقنع بظاهر المعنى القرآني الذي لا يعد شيئا بجانب تدبره واستنباط معانيه . فيقول هو عن تدبر القران :" وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذي يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة لأن من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل زكان مثله كمثل من له لقحة دور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها" ولهذا كثيرا ما يقف أما م النص القرانى وقفة عقلية يبرزها في صورة نقاش يبين فيه الجهد العميق الذي بذله مفكرا ومستنبطا للمعاني .[٢]
ولقد كان طبيعة موقف المعتزلة كمدافعين عن الإسلام يقتضيهم التأمل العقلي للآي ات القرآنية وتلمس الوجوه المناصرة فيها للإسلام ذلك لأنه كلما كثرت الأدلة والاحتجاجات ارتبك الخصم أمامها ، هذا إن هاجموا وانتصروا فان هوجموا ومعهم الأدلة الكثيرة استطاعوا إن يستنصروا بالقوى الباقي بعد ذهاب ضعفها . وقد ساعدهم على ذلك مرونتهم العقلية كمتكلمين جدليين درسوا الفلسفة والمنطق وكفصحاء ذوى دراية باللغة والنحو الى هذا فهم قد استعرضوا ما سبقهم من تفاسير اختاروا منها ما لا يتعارض مع مذهبهم ، ثم أضافوا إليه كل جديد من نتاج فكرهم وتوارث ذلك بين معتزلي عن معتزلي .[٣] كذلك نجد الزمخشرى يجول بعـقله في النسق المعنوي للآية الواحدة يبحث فى تآلف معانيها وتآخيها.[٤]
هناك نقطة أخرى في منهجه العقلي في التفسير وهى محاولة التوفيق بين معاني الآي القرآنية التى قد يظن بها اختلاف أو تناقض ، ومن هذا الباب كان يلج الملحدون حينما يطعنون فى القران . فالزمخشرى هنا مدافع عن القران لا مفسر وحسب فالمعاني القرآنية كـل متناســق متجاوب لا تناقض فيه ولا اختلاف .[٥]
هناك أيضا نقطة ثالثة في ذلك المنهج العقلي فى التفسير القرآني وهى أن الزمخشرى وهو يقلب النص على وجوهه المعنوية المختلفة عنى باستخراج الدليل من القر آن وعدته العقل متبعًا فى ذلك الفقهاء حين يستنبطون الأحكام الفقهية من آي القرآن فمثلا يستخرج دليلا جغرافيًّا منطقيا لا تصدقه معارفنا الآن بل ولا حتى في عصره من الآية : " أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ..." [٦]
والزمخشري هذا الذي حكم عقله في آي القران ونفذ به الى حجب الغيب يستخرج الدليل على صحة القياس العقلي فيقول فى الآية :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الواقعة: ٦٢ ". وفى هذا دليل على صحة القياس حيث جعلهم فى ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى . فهو يستخرج من القرآن البرهان على تقديس العقل .[٧]
تلك إذن ناحية من شخصية الزمخشرى كمعتزلي ولكنها الناحية العقلية الخالصة التى لا تمس مبادئ اعتزالية بل تدين أولا وقبل كل شئ بسلطان العقل وتستخدمه كآلة فى التفسير لها شأنها .[٨]

---

[١] منهج الزمخشرى في تفسير القران وبيانه ص 93 .
[٢] المرجع السابق ص 95.
[٣] المرجع السابق ص 99 .
[٤] منهج الزمخشرى فى تفسير آيات القران الكريم وبيانه ص 101 .
[٥] المرجع نفسه ص 103 .
[٦] المرجع نفسه ص 105.
[٧] المرجع نفسه ص 107.
[٨] المرجع السابق ص 107.





الزمخشرى كمفسر معتزلي

فيما يبدو الزمخشرى مفسرا للقرآن ملتزما بمبادئ الاعتزال ، ينظر الزمخشر ي إلى القرآن نظرة عامة فيجعل الآي المناصرة ظواهرها للمذهب الاعتزالي محكمة وتلك التى تخالفه متشابهة ثم يرد المتشابه الى المحكم ليخضع تفسيرها للرأي الاعتزالي ، وهذا النحو في التفسير هو ما يعرف بالتأويل.

يقول في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ﴾[١]يقول محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه . متشابهات مشتبهات محتملات .هن أم الكتاب أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها إليها . ومثال ذلك " ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ ".[٢]وقوله تعالى ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾[٣] وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾[٤]. ونلحظ أن المحكم من الآي في رأيه يورده قبل المتشابه فالآية : " لا تدركه الأبصار " يعين ظاهرها المعتزلة على رأيهم في أن الله لا يرى . والآية :" لا يأمر بالفحشاء " تظاهر رأى المعتزلة في عدل الله فهو لا يفعل القبيح ولا يأمر به ، والآيتان بعد محكمتان أما الأخريان فمتشابهتان .[٥]
وإذا كانت الآي التى تنصر المعتزلة وآراءها محكمة وتلك التى يصدم ظاهرها المعتقد الاعتزالي متشابهة فإن رسالة التفسير عند المعتزلة أن يردوا ما استطاعوا الآي المتشابهات الى المحكمة .[٦]

الزمخشرى المفسر الأثري :

حيث نرى الزمخشرى مفسرا أثريا ، فهو يجئ بالأسباب المعينة على تجلية النص وتفسيره ، منها معرفة أسباب النزول ومناسبته مسندا الرواية الى أصحابها فيقول مثلا فى الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ [٧] عن الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا الكلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية .[٨]وغيرها الكثير .

وكما نراه ينظر الى أسباب النزول في الآيات كذلك نراه يهتم بمسألة الناسخ والمنسوخ في القران ، وهى مسألة لها تأثير في التفسير كما أن لها خطرها عند من يدافعون عن الإسلام كالمعتزلة ذلك أنها باب من الأبواب التى ولجها الطاعنون على الإسلام للتشكيك فيه . وللناسخ والمنسوخ حكمة يبديها عند الآية ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ ﴾[٩]فيقول الزمخشرى : تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن تكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة .[١٠]فإن قلت : هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القران ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس ؟ قلت فيه أن قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفى نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القر آن في إيجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله . وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع . فلا يصح نسخ القر آن بها . وأوضح الزمخشرى أيضا أن الآية قد تكون متقدمة في التلاوة وهى متأخرة في التنزيل كقوله تعالى :" سيقول السفهاء من الناس " مع قوله تعالى" قد نرى تقلب وجهك في السماء"[١١]

---

[١] سورة آل عمرا ن آية 7 .
[٢] سورة الأنعام آية 103
[٣] سورة القيامة آية 23
[٤] الأعراف : 28
[٥] منهج الزمخشرى في تفسير القران الكريم . ص 108
[٦] المرجع السابق ص 109
[٧] سورة البقرة الآية 26 .
[٨] انظر المرجع السابق ص 154.
[٩] سورة النحل أية 101
[١٠] المرجع السابق ص 156
[١١] البقرة آية 142 و 144 انظر المرجع السابق ص 156.





والزمخشرى يفسر القر آن بالقر آن تفسيرا ظاهريا لا تأويل فيه في الآي التى لا يمس ظاهرها أو باطنها الرأي الاعتزالي ولا مبادئه .فيقول الزمخشرى : " القران يفسر بعضه بعضا " . ويقول أيضا : " أسد المعاني ما دل عليه القران "

ويفسر الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]. فأراد والتاركون الزكاة هم الظالمين فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر أية الحج (ومن كفر) مكان من لم يحج ولأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله " ... وويل للمشركين . الذين لا يؤتون الزكاة ... " . فتارك الحج كافر كما أن تارك الزكاة كافر واللفظة التى في الآيتين كلتيهما للتغليظ .[2]

وكما أن القران يفسر بعضه بعضا فإن السنة كذلك تفسره. يقول الزمخشرى مفسرا الآية ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[3]فان قلت : كيف كان القر آن تبيانا لكل شئ ؟ قلت : المعنى أنه بين كل شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها وإحالة على السنة حيث أمر فيه ب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته . وقيل " وما ينطق عن الهوى " وحثا على الإجماع في قوله " ويتبع غير سبيل المؤمنين ". وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق القياس والاجتهاد . فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب . فمن ثم كان تبيانا لكل شئ .[4]

ولذلك نرى الزمخشرى يستشهد في تفسيره بأحاديث الرسول وأعلام الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود ومقاتل والضحاك وعلى بن أبى طالب ومجاهد وعكرمة وعائشة وابن الكلبي وسفيان بن عيينة والفضيل ابن عياض وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وزيد بن على وجعفر الصادق ومحمد بن كعب وسفيان الثوري والشعبي وابن جريح وعطاء بن أبى رباح والنخعى وعمر ومحمد بن سيرين وحذيفة وابن عمر وطاووس وعبد الله بن عمرو ومسروق ومالك بن دينار والزهرى ووهب والسدى ، وينقل عن غيرهم من الصحابة والتابعين على قلة وهو لا يلتزم بإيراد عنعنات الرواية مسبوقة بلفظة (وفى الحديث) أو قال رسول الله كذا أو قال الصحابي فلان كذا ، ولكن نلحظ أن أكثر الأسماء دورانا في تفسيره الحسن البصري . وتعتبره المعتزلة من رجالهم فق عده المرتضى فى الطبقة الثالثة ، وكذا يدور بكثرة في الطبقة الرابعة من المعتزلة ويقول فيه : لم يختلف فيه أنه من أهل العدل .[5]

وهذه التفاسير الأثرية أو النقلية قل إن يقف منها موقف الناقد الذي يرفض كل ما لا يدل عليه المعنى الظاهري للنص القرانى . ومن هذه الوقفات النقدية القليلة قوله في الآية : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ ﴾[6] . وعن الحسن : في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا التفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلاءم علمه بكلام العرب وفصاحته .[7]
ومن تفسير الزمخشرى النقلى موقفه مما يؤثر من تفاسير قصصية للآي القرآنية وهو موقف يفترق وبعض أسلافه من ناحية ويلتقي وإياهم في أخرى . يختلف وبعض أسلافه في التفسير القصصي الذي لا يمس آراء المعتزلة . فبعض المعتزلة يقفون من هذا التفسير موقف الشاك الناقد الساخر فهذا النظام ينقد المفسرين القصصيين يقول : " لا تسترسلوا إلى كثيرٍ من المفسرين ، و إن نصبوا أنفسهم للعامة وأجابوا في كل مسألة فان كثيرا منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم وليكن عندكم عكرمة والكلبي والسدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وأبو بكر الأصم في سبيل واحدة فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن الى صوابهم ... "[8]

[1] البقرة : 254
[2] المرجع السابق ص 158.
[3] النحل : 89
[4] منهج الزمخشري في تفسير القران ص 158 و 159 .
[5] المرجع السابق ص 159.
[6] سورة الأنفال آية 23.
[7] المرجع السابق ص 160.
[8] المرجع السابق ص 161





ان ما لا يمس عقيدة أو يضار رأيا اعتزاليا ولا يطعن في عصمة نبي هذا كله يتسمح فيه الزمخشرى ويورده . ولو كان أشبه بالأسطورة والخيال . يقول في الآية ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[1] "روى أنه كان ثعبانا ذكرا فاغرا بين لحيته ثمانون ذراعا وضع لحيته الأسفل فى الأرض ولحيته الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك" .[2]

والنقول القصصية التى تطعن عصمة الأنبياء وتجرحها فان الزمخشرى يزيفها ويأباها ، يقول :
" وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الأوثان في بيت سليمان فالله أعلم بصحته ، حكوا : أن سليمان بلغه خبر صيدون وهى مدينة في بعض الجزائر وان ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت لحبه وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها ، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا ، وكانت له أم ولد يقال لها أمنة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس وغير سليمان على هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال : أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى المساكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة . وقيل : بل نفذ حكمه في كل شئ إلا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى تم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر . وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله عزوجل ".[3]

ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح ، وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى الى قوله : " من محاريب وتماثيل "[4] . وأما السجود للصورة فلا يظن بنبي الله أن يأذن فيه وإذا كان بغير علمه فلا عليه .[5]

الجانب الثاني : الزمخشري اللغوي

صورة أخرى نلمحها من تفسير الكشاف عن الزمخشرى ، صورة العالم اللغوي . فهو يعرض اللفظ القر آنى عرضا عرفته العرب في معاني منطقها لأن القر آن عربي ومعانيه معاني كلام العرب . يقول الزمخشرى في الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ﴾.[6] فإن قلت : هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شئ في معنى المفعول به ؟ قلت : لأن عفا الش يء بمعنى تركه ليس يثبت ولكن عفاه ومنه قوله عليه السلام : وأعفوا اللحى . فإن قلت : فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شئ ؟ قلت : العبارة قلقة في مكانها والعفو من باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل

---

[1] الشعراء : 23
[2] منهج الزمخشرى في تفسير القران ص 162 وانظر تفسير الزمخشرى الكشاف
[3] المرجع السابق ص
[4] سورة سبأ ايه 13
[5] المرجع السابق ص 164
[6] سورة البقرة أية 178





عنها الى أخرى قلقة نابية عن مكانها . وترى كثيرا ممن يتعاط هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله تعالى على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ منها" .[1]

نرى الزمخشرى يسير على نهج اللغويين الأوائل الذين كانوا يسمعون من العرب ومن سماعهم يفسرون كلام الله وهكذا فعل الزمخشرى الذي طاف بأنحاء أرض العرب وصحاريها . يقول في قوله تعالى ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[2]. فهو نصر الذي كان مطاوعه وسمعت هذليا يدعو السارق : اللهم انصرهم منه ، أي اجعلهم منتصرين منه .[3]

وحين عالج اللفظ القرانى رأيناه يحاول أن يلمح الأصل الحسي له وينبه إليه . يقول في الآية ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾[4] والتسبيح تعيد الله من السوء كذلك تقديسه من سبح الأرض والماء وقدس الأرض إذا ذهب فيها وأبعد وأبعد ويقول في الآية ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾[5] لا تأنيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي الذي هو غاشية الكرش ومعناه إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزل والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه .[6]

والزمخشرى يفرق بين لفظين قرآنيين مترادفين تفرقة معنوية دقيقة . يقول في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[7] والنور ضوءها (أي النار) وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله تعالى : " هو الذي جعل الشمس ضياءا والقمر نورا " [8]

ويقول في قوله تعالى ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[9] فإن قلت : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلت : النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للأمر المزاول له وأما لغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة .[10]

والزمخشرى لغوى ذو حاسة لغوية دقيقة أنظر قوله في لفظة (تقشعر) من الآية ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[11] اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الأديم اليابس مضموما إليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف .[12]

---

[1] منهج الزمخشرى فى تفسير القران ص 164
[2] سورة الأنبياء أيه 76 و 77 .
[3] المرجع السابق ص 165
[4] البقرة : 30
[5] يوسف آية 92 .
[6] المرجع السابق ص 166.
[7] البقرة أية 17.
[8] يونس ايه 5 .
[9] فاطر 35 .
[10] منهج الزمخشرى في تفسير القران ص 166
[11] الزمر 23
[12] المرجع السابق ص 166





وفى (تأذن) من الآية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1] يقول ومعنى تأذن تأذن ربكم أذن ربكم ونظير تأذن وأذن توعد وأوعد وتفضل وأفضل ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة .[2]

الجانب الثالث : الزمخشري النحوي

وأما عن شخصية الزمخشرى كعالم نحوى فهو حين يعرض للقرآن من الوجهة الإعرابية لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على الجانب المعنى وإنما يجعل همه المعنى حيثما كان هناك تقدير إعرابى فتراه يبين الأحكام النحوية وما وراءها من فروق معنوية . فهو يعالج النحو القرانى من الناحية التى تخدم تفسير القران وتنسق معانيه . يقول في الآية ﴿ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[3] " لم رفعت (ينصرون) ولم لمْ تجزم وتأثر المعنى في الحالتين ثم يبين علام عطفت (ينصرون) ليدرجها فى نسقها المعنوي يقول : هلا جزم المعطوف فى قوله : (ثم لا ينصرون) قلت: عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل : ثم أخبركم أنهم لا ينصرون . فان قلت فأى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى ؟ قلت : لو جزم لكان نفى النصر مقيدا بقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفى النصر وعدا مطلقا كأنه قال: ثم شأنهم وقصتهم التى أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت : فما الذى عطف عليه هذا الخبر ؟ قلت جملة الشرط والجزاء أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون" .[4]

وقد تمتد رعاية الزمخشرى للنسق المعنوي في الآية الواحدة إلى رعايته للتناسب المعنوي في القر آن كله في الآية ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[5] سيعرض وجهين لمرجع الضمير في (مثله) وهو(لما نزلنا) أو (لعبدنا) ويفضل منهما الوجه الذي يتفق مع المعاني القرآنية يقول : (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله والضمير (لما نزلنا) أو (لعبدنا) ويجوز أن يتعلق بقوله تعالى (فأتوا) والضمير للعبد .. ورد الضمير الى المنزل أوجه لقوله تعالى : " فأتوا بسورة مثله "[6] (فأتوا بعشر سور مثله)[7] (على أن يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله)[8] . ولأن القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الأساليب والكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيبا وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه أن لا يفك عنه برد الضمير الى غيره . ألا ترى أن المعنى و إن ارتبتم في أن القر آن منزل من عند الله ؛ فهاتوا أنتم مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال وان ارتبتم في أن محمدا منزل عليه القران فهاتوا قرانا مثله ولأنهم إذا خاطبوا جميعا وهم الجم ع الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هذا الواحد ولأن هذا التفسير هو الملائم لقوله : " وادعوا شهدائكم " .[9]

---

[1] إبراهيم ايه 7 .
[2] المرجع السابق ص 167.
[3] آل عمران : 111
[4] منهج الزمخشرى ص 167و 168.
[5] سورة البقرة أية 23.
[6] يونس آية 38
[7] هود آية 13
[8] الإسراء ايه 88
[9] المرجع السابق ص 168.





إن النحو عند الزمخشري خادم للمعنى . يقول في الآية ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ ﴾[1] إذا حضر ظرف للشهادة ، وحين الوصية بدل منه . وفى إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التى ما ينبغي أن يتهاون بها مسلم ويذهل عنها " .[2] لذلك ينأى الزمخشرى بالقر آن عن تعسف التأويلات النحوية التى لا يفيد التفسير القرآني منها محصولا ففي الآيۃ ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظًا مِّن كُلِّ شَيۡطَـٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴾.[3] يقول :" فإن قلت : هل يصح قول من زعم زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكر منى فبقى أن لا يسمعوا فحذت أن وأهدر عملها.[4]

والزمخشرى يستغل النحو في الدفاع عن القر آن والنضح عنه من طاعنين يرون فيه ما لا يضطرد والقاعدة النحوية في جفافها وباضطرادها على وتيرة واحدة . يقول الزمخشرى في الآية ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ أُوْلَـٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝١٦٢ ﴾[5] المقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على أمثلة وشواهد لا يلتفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة فى الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم" .[6]

الجانب الرابع : الزمخشري العالم بالقراءات

استعان الزمخشرى بالقراء ات على التفسير الذي يفسر فهو تقوى منه وتلقى الضوء عليه . فيعضد تفسير الآية ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[7] بقراءة لعبد الله يقول : فـإن فاءوا في الأشهر بدليل قراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن ، ويعتمد على القراءات فى تقوية الوجه التفسيري الرابع للآية ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكۡمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[8] فيقول " والرابع أن يراد أهل أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكما بهم لأنهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبى وابن مسعود : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) وهذه الآية يستنصر لأحدى وجوهها التفسيرية بقراءة : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص) [9]. ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا لأنفسهم الدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الأمر كقوله تعالى :" فسيحوا في الأرض" .[10]

---

[1] المائدة : 106
[2] المرجع السابق ص 170
[3] الصافات : 6:8
[4] المرجع السابق ص 171.
[5] النساء : 162
[6] المرجع السابق ص 171 و 172
[7] سورة البقرة آية 223.
[8] آل عمران : 81
[9] سورة ق آية 36
[10] سورة التوبة آية 2 . وانظر منهج الزمخشرى ص 172



والزمخشرى يبين فرق ما بين القراءات من حيث اللغة إذ لذلك أثر في اختلاف الآي . يقول في قوله تعالى ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1] . قرئ بشق الأنفس بكسر الشين وفتحها وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فروق وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع ، وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد .

وهو يعالج القراءات ليوجه قراءة بعينها الى أوجهها المعنوية المختلفات والمحتملات ليكشف عما وراء الآي من ثروة معان . فهو يستغل القراءات في خدمة التفسير فيقول في قوله تعالى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ قرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ، أو من كذب الذى هو مبالغة في كذب كما بولغ صدق فقيل صدق . أو بمعنى الكثرة كقولهم : مونت البهائم وبركت الإبل أو من قولهم كذب الوحشاذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لآن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام : مثل المنافق كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة" .[2]

وإن همَّ الزمخشرى المعنى القوى الذي تتضمنه الآي القرآنية ولذلك فالقراءة المفضلة عنده التى تحمل وراءها معنى قويا يخدم التفسير القرانى فيفضل الزمخشرى القراءة المشهورة في الآية "فأن لله خمسه" لقوة معناها وذهاب العقل في التقدير مذاهب مختلفة وهو عرب الآية فيقول : (فأن لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه . ثم بعد يورد قراءات في هذه الآية يقول : المشهورة أكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الإخلال به والتفريط فيه من حيث أنه حذف الخبر واحتمل غير من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد .[3]

مظهر آخر لاهتمام الزمخشرى باستغلال القراءة في خدمة التفسير القرآني ، فنراه يرجح القراءة اذا كانت تجرى والنسق المعنوي في مضمار يقول في الآية والفوم الحنطة ومنه ﴿ وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [4]فوموا لنا أى اخبزوا ، وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو العدس والبصل أوفق ، كما أنه يرفض القراءة التى تخل بالنسق المعنوي ولا تستقر فيه يقول عند الآية ﴿ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[5]"فإن قلت : ما تقول فيمن قرأ " ولو كان ذو قربى " على كان التامة كقوله تعالى : " وان كان ذو عسرة " ؟ قلت : نظم الكلام أحسن ملائمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة ان دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت : ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن هنا ما ساغ أن يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته" .[6]
والزمخشرى يفضل القراءة التى تحفظ على الأسلوب القرانى جماله وقوة معناه . فيقول في الآية :
" والله بما تعملون خبير " ، وقرئ بما تعملون بالتاء والياء ، فالتاء على طريقة الالتفات وهى أبلغ في الوعيد . والياء على الظاهر . ويقول في الآية :" ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فرق منكم بربهم يشركون " . وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المبالغة يدله على المبالغة. فاذا ما ضاعت القراءة من أسلوب القران جماله وقوة معناه رفضها وأباها وآثر غيرها مما يحفظ على القران جماله .[7]

---

[1] سورة النحل آية 7.
[2] المرجع السابق ص 174 .
[3] منهج الزمخشرى فى تفسير القران الكريم ص 175.
[4] البقرة : 61
[5] فاطر : 18
[6] المرجع السابق ص 176.
[7] المرجع السابق ص 177.

الجانب الخامس : الزمخشري الفقيه

الصورة التى نستبينها عن الزمخشرى الفقيه في تفسيره هي صورة من وعى الآراء الفقهية فهو يعرضها عرضا دون أن يفصل برأي . مثلا فى قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[1] يقول فيها : اختلف في المرض المبيح للإفطار فمن قائل كل مرض لأن الله تعالى لم يخص فى المرض مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما أن لكل مسافر أن يفطر كذلك لكل مريض ". [2]

وحينا نرى الزمخشرى يبدى رأيه الفقهي يقول فى الآية ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[3]فان قلت : هل فيه دليل على وجوب العمرة ؟ قلت : ما هو إلا أمر بإتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة والأمر بالوجوب فى أصله الا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دلت فى قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك . [4]

كذلك نرى الزمخشرى أحيانا يثير نقاشا فقهيا يخدم تفسير الآية ، وأحيانا أخرى بعقليته يحلل الآيات القرآنية تحليلا فقهيا ، ونراه يبين حكمة التشريع . مثلا قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾[5]" فان قلت : الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالإجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبى حنيفة رضي الله عنه كأن القذف مع الكفر أهون من القذف مع الإسلام ؟ قلت : المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لأنهم شهروا بعدواتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن إلحاق الشنار. [6]

الجانب السادس : الزمخشري المربى الروحي

يرى الزمخشر ي أن القر آن وثيق الصلة بالحياة فهو كتاب دين ودنيا وليس كلاما يفسر فحسب فدرس التفسير عنده درس عملي للتربية الروحية .فهو يمجد القران والسنة في وصاياهما بالقصد في الأكل والشراب ، ويفسر عن عاقبة الظلم مفيدا من تجاربه في الحياة ، وينصح بالبعد عن الشائعات ، ويهدى الى أدب الضيف .[7]
ومن هذا الوادي نقده لبعض الأحوال الاجتماعية في عصره أو نظراته التى تكشف جانبا من تفكيره الاجتماعي .
فنراه ينقد بخل الأغنياء عن الصدقة فيقول في قوله تعالى ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[8]وترى أكثر الأغنياء من المسلمين ان لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه . كذلك نراه ينقد من أهملوا آداب الاستئذان في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[9]

---

[1] البقرة : 184
[2] منهج الزمخشرى ص 180.
[3] البقرة آية 196
[4] المرجع السابق ص 182.
[5] النور: 4
[6] المرجع السابق ص 184.
[7] منهج الزمخشرى في تفسير القران الكريم ص 192.
[8] الكهف : 34 : 36
[9] النور: 27

والزمخشرى التقى يريد ليعظ ويرهب ويرغب لننظر كيف لونت تقواه تفسير قوله تعالى ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[1]. فقد جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فما هي إلا دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها إلا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة إلا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب .[2]

هذا وقد دعاه نسكه وتقواه في سبيل الوعظ أن يضمن تفسيره أضعف الأحاديث الموضوعة في فضائل سور القران مع أن أحاديث فضائل سور القران سورة باب دخل منه الوضع الكثير حين رغب الناس عن القران وشغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحاق فوضعت تلك الأحاديث للترغيب في القران .[3]

[1] الزمر 73.
[2] انظر المرجع السابق 194.
[3] المرجع نفسه ص 195.

الفصل الثالث : أصول وعقائد المعتزلة

يقوم المعتزلة على أصول خمسة عامة من اعتقدها جميعا كان معتزليا ، ومن أنقص منها أو زاد عليها ولو أصلا واحدا لم يستحق اسم الاعتزال . وتلك الأصول مرتبة حسب أهميتها على النحو التالي.[١]

المبحث الأول : أصل التوحيد

شغل المعتزلة أنفسهم بالدفاع عن وحدانية الله سبحانه وتعالى ، ولذلك جاءت ردودهم ، كما مر بنا على أهل الشرك الذين يثبتون من الله إلها أو آلهة أخرى كالمجوسية بفرقها المتعددة والدهرية . ويظهر أن المعتزلة كانوا واعين على ما يقولون ويقومون به في هذا السبيل ، متحمسين له فخورين به . ولهذا قال الخياط إن المعتزلة هم وحدهم المعنيون بالتوحيد والذب عنه من بين العالمين ، وأن الكلام في التوحيد كله لهم دون سواهم ، وقال في معرض الفخر :" وهل يعرف أحد صحح التوحيد وثبت القديم جل ذكره واحدا في الحقيقة واحتج لذلك بالحجج الواضحة ، وألف فيه الكتب ورد على أصناف الملحدين سواهم ؟ . هذا على حين كان غيرهم من الناس مشغولين بالدنيا ينغمسون في لذاتها ويجمعون حطامها .. ويرون عن النظام أنه حين حضرته الوفاة قال : " اللهم ان كنت تعلم انى لم اقصر في نصرة توحيدك فانا منه برئ ، اللهم فان كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لي ذنوبي وسهل على سكرة الموت "[٢] ولما كان المعتزلة يعتقدون وحدانية الله عزوجل ، ويرون أنه واحد " ليس كمثله شئ "، وأنه تعالى قديم وما دونه محدث ، وان القدم أخص وصف لذاته الكريمة . فإنهم انبروا يحاربون كل مذهب ويفندون كل قول يرون بعقولهم أنه يتعارض مع مبدأ الوحدانية ، فيجعل لله شريكا في الأزلية ، ويشبه الله بخلقه أو يشبه خلقة به . وبعبارة أخرى أنهم نفوا عن الله عزوجل جميع صفات المحدثين .[٣]
وهنا نوجز مسائل التوحيد التى وقف عندها المعتزلة .

-فى الصفات :

وردت في القران الكريم أوصاف كثيرة لله تعالى كالقديم والعليم ، والقاهر والقادر ، والقوى والعادل . وكل اسم من أسماء الله الحسنى يدل على إحدى هذه الصفات ، ويبدو ان السلف كانوا يعتقدون أن أسماء الله أزلية وأن صفاته تعالى أزلية ، فقد كان الإمام ابن حنبل يقول إنها مخلوقة غير أن ابن حزم يخطئ من يطلق على الله لفظ الصفات ، لأنه تعالى لم ينص على ذلك فى كلامه المنزل ، ولا جاء شئ منه في كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا في كلام أحد الصحابة أو خيار التابعين .والمسلمون جميعا موحدون لا يشركون بالله أحدا ، بيد أن المعتزلة وصلوا في توحيدهم الى حد التفلسف ، وبنوا عليه أمورا لم يكن أحد من المسلمين يعرض لها ، حيث يعتقدون بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف لذاته ، ونفوا الصفات القديمة أصلا : هو عالم بذاته حي بذاته ، لا بعلم وقدرة وحياة .وهنا بعض الأمثلة الموضحة لذلك :
- يقول الله عز وجل على لسان عيسى عليه السلام : " تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك "[٤]

فأهل السنة يعتقدون أن الواجب في باب الصفات أن نثبت ما أثبته الله ورسوله ، وننفى ما نفاه الله ورسوله . أما المعتزلة فإنهم يؤولون الصفات تنزيها لله سبحانه ، وأهل السنة يثبتون لله عزوجل نفسا لكنها ليست كنفوس البشر والمخلوقين " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "[٥] . فالشريف الرضي يؤولها بقوله (أى تعلم غيبي وما عندي ، ولا أعلم غيبك) ويوضح سبب تسمية النفس بالغيب بأن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع ، نزل ما يكتمه ويجتهد في ستره منزلتها ، وسمى باسمها : فقيل : انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء .

---

[١] المعتزلة لزهدي جاد الله ص 51.
[٢] المعتزلة ص 61
[٣] المرجع السابق ص 61.
[٤] المائدة 116
[٥] الشورى 11

أما الزمخشرى فيؤولها بالمعلوم يقول : والمعنى تعلم معلومى ولا أعلم معلومك .[١]

- قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٢]

أهل السنة يثبتون لله صفة العينين على الوجه الذي يليق بذاته ."روى ابن عباس تفسير (أعيننا) أنه أشار الى عينيه.
أما المعتزلة فأنهم يؤولون بقول الزمخشرى فى قوله (بأعيننا) : بحفظنا وكلاءنا كأن معه من الله حفاظا يكلئونه بعيونهم : لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ، ومنه قولهم : عليه من الله عين كالئة .[٣]

- قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٤]

أهل السنة يثبتون صفة الوجه لله عز وجل ، على الوجه الذي يليق بذاته سبحانه ، أما المعتزلة يؤولون الوجه بالذات . يقول الزمخشرى " وجه ربك " ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان ؟" ويقول الشريف الرضى : أما كان المراد بالوجه نفسه .[٥]

- قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[٦]

يقول الزمخشرى : لما كان الاستواء على العرش ، وهو سرير الملك مما يرافق الملك ، جعلوه كناية عن الملك ، فقالوا : استوي فلان على العرش يريدون ملك . وان لم يعقد على السرير ألبتة ، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ، ومساواته ملك في مؤداه ، وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر. والقول في الآية ما قاله الإمام مالك رضي الله عنه " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب ، والسوال عنه بدعة . وقد اجمع أهل السنة والجماعة على ان الله استوي على عرشه بذاته وذلك على الحقيقة لا على المجاز .[٧]

-فى رؤية الله عز وجل :

ذهبت المعتزلة الى أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يراه المؤمنون فى الآخرة . وأولوا الآيات الدالة على ذلك في محكم القران الكريم كقوله تعالى :[٨] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [٩] يستدل أهل السنة والجماعة بهذه الآية على رؤية المؤمنون المؤمنون ربهم يوم القيامة دون الكافرين . أما المعتزلة فلِن اعتقادهم تنكر ذلك لذا : أوَّلوا الآيات التى استدل بها أهل السنة والجماعة على الرؤية . فمثلا يؤولون قوله تعالى : " الى ربها ناظرة " تأويلا يتناسب مع عقيدتهم : حيث أوله بعضهم على تقدير محذوف تقديره : الى ثواب ربها ناظرة .
ومنهم من حمل قوله تعالى " إلى ربها " أى نعمة ربها ، وعلل ذلك بأن الألآء النعم ، والزمخشرى يؤول قوله تعالى (ناضرة) بالتوقع والرجاء .[١٠]

---

[١] التفسير والمفسرون 1/ 423 وانظر الكشاف 1/ 655.
[٢] المؤمنون 27
[٣] الكشاف 2 / 30.
[٤] سورة الرحمن 27.
[٥] التفسير والمفسرون 1/ 426.
[٦] طه 5
[٧] الكشاف 2/ 530.
[٨] المعتزلة بين القديم والحديث ص50.
[٩] القيامة 22و 23.
[١٠] الكشاف 4/ 192. وانظر التفسير والمفسرون 1/ 413.

- قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾[1]

يقول الزمخشرى "إن قلت الرؤية عين النظر ، فكيف قيل : "أرني انظر إليك " قلت : معنى أرني نفسك : اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك ز فان قلت : فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلى ..؟ قلت :لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك ، علم أن الطلب ه و الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه ، فقيل : لن تراني ، ولم يقل : لن تنظر إلي" .[2]
أما عن الأحاديث المروية في هذا المعنى ، فقد أنكروها بحجة أنها أحاديث آحاد ، واحتجوا بالآي القرآنية كقوله تعالى : "لا تدركه الأبصار " ، وقوله تعالى : " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم "[3]

-كلام الله عز وجل (القرآن)

تابع المعتزلة الجهم بن صفوان في مقالته عن أن القر آن مخلوق لله تعالى وكان ذلك متسقا مع مذهبهم في مس ألة الصفات ، إذ لو كان القرآن كلام الله غير مخلوق لكان قديما مع الله ، وهذا قول بالهين ، كذلك فالقر آن يشتمل على أوامر ونواهي وحوادث وقصص قد وقعت فى أزمنة مختلفة ومتعددة فلا يمكن أن يكون الله عز وجل لم يزل متكلما بها منذ الأزل .[4]وقد شدد أئمة الإسلام النكير على القائلين بهذه البدعة . فعن عمرو بن دينار قال : أدركت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فمن دونهم يقولون : الله خالق وما سواه مخلوق ، والقران كلام الله منه خرج وإليه يعود .[5]
.
وقد نقل الحافظ اللالكائى في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ،أسماء العلماء الذين قالوا : ان القران كلام الله غير مخلوق ، فأورد خمسمائة وخمسين رجلا من التابعين وأئمة الفقهاء في كافة البلدان .وقد صنف أكابر أئمة أهل السنة فى الرد على تلك البدع الاعتقادية كالإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والدارمي وابن تيمية .[6]

ونلحظ أن المعتزلة في إثبات أن القران مخلوق لم يكتفوا بالأدلة العقلية وهى صفات القدم لله عز وجل بل أنهم اعتمدوا على الأدلة النقلية التى تؤيد قولهم وتدعم حجتهم . فقد كان المأمون يحاول أن يثبت خلق القران ببعض آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[7]فكل ما جعله الله فقد خلقه. وقوله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[8]وكل محكم مفصل له محكم مفصل ، والله تعالى محكم كتابه ومفصله ....وغيرها من الآيات .[9]

---
[1] الأعراف 143.
[2] الكشاف 112/2.
[3] المعتزلة بين القديم والحديث ص 50.
[4] المعتزلة بين القديم والحديث ص 50
[5] المرجع السابق ص 56.
[6] المرجع السابق ص 56.
[7] الزخرف : 3
[8] هود : 1
[9] المعتزلة ص 79.

المبحث الثانى : أصل العدل :

خاض المعتزلة في صفتين من صفات الله عز وجل بشكل خاص ، فأخضعوهما لقياساتهم العقلية ، وما جرت به بحوثهم من خلط في المصطلحات والتسميات ، ومن قياس الغائب على الشاهد بقياس الله على مخلوقاته ، وقد أداهم ذلك الى عدة مسائل أخذت بعضها برقاب بعض وهى : [١]

-فى القدر :

قالت المعتزلة إن صفة العدل تستلزم أن لا يحاسب أحدا إلا على ما جنت يداه ، وأما ما أكره عليه واضطره غيره إليه فلا مجال لحسابه ولا لعقابه به . كما أن فاعل الظلم ظالم ، وفاعل الشر شرير ، والله سبحانه وتعالى لم يقدر شيئا على عباده ولم يقض عليهم بأمره في الأزل ، بل إن العباد مختارون لأفعالهم ، أحرار فى عملها بكامل مشيئتهم وإرادتهم ،والإرادة الإلهية لا دخل لها بهذه الأفعال التى يقوم بها العباد ، إذ أن ذلك التصور هو المبرر لمعنى الثواب والعقاب ولكون الله سبحانه وتعالى عادلا .[٢]

فنراهم يثبتون من القران ما يؤيد ظاهره أقوالهم كقوله تعالى ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٣]ويتركون ما عداها.[٤]

-فى أفعال العباد

ذهبت المعتزلة الى القول بأن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدا ، ولا يجبر مخلوقا على فعل معصية أو طاعة ونحن نرى أصناف الشرور في العالم كله ، ونرى الكافر يفعل المعاصي ولا يخشى منها ، والفاسق يرتكب آثامه دون مبالاة ، وأن من فعل الظلم فهو ظالم ، ومن أتى الشر فهو شرير . إذن فالعباد خالقون لأفعالهم ومسئولون عنها ، والله سبحانه وتعالى لا يريد الشر ولا يحبه ولا يفعله ولا يقدر عليه ، إذ لو شاءه لكان محبا له ، ولما صح أن يعاقب الناس على فعله وخلقه .[٥]واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.[٦]وقوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [٧]وغيرها ، وكان على النقيض الجبرية أتباع (الجهم بن صفوان) الذين أنكروا الإرادة البشرية ومجالها إنكارا تاما ، وذهبوا إلى أنه لا فرق بين الإنسان والشجر والحجر ، وأن نسبة الأفعال إلى الإنسان هي من قبيل مجاز القول . [٨]

-التولد :

وكان من لوازم مذهب المعتزلة هو البحث في الأفعال التى تنشأ عن الأفعال الإنسانية التى اعتبروها من خلقه ، هل هي من خلقه كذلك أم لا ؟ [٩]. وقد بني المعتزلة أقوالهم على تصوراتهم عن عدل الله وإرادته وقدرته ، فقاسوا على ميزان العدل الانسانى والإرادة الإنسانية ، ووقعوا فيما فروا منه وهو تشبيه الخالق بالمخلوق.[١٠]

---

[١] المعتزلة بين القديم والحديث ص 56.
[٢] المرجع السابق ص 57.
[٣] الكهف : 29 وينظر : المرجع السابق ص 57.
[٤] المعتزلة ص 88
[٥] المعتزلة بين القديم والحديث ص 58
[٦] البقرة : 79
[٧] غافر : 17
[٨] المعتزلة بين القديم والحديث ص 60.
[٩] المرجع السابق 60
[١٠] المرجع السابق . 61

والحق في تلك هو ما ذهب إليه السنة من التفريق بين إرادتين لله الكونية والإرادة الشرعية. فالإرادة الكونية هي التي تقع حسبها كل الأفعال التى تحدث في الكون خيرها وشرها والتي يسير بمقتضاها الكون حسب النواميس الإلهية وأما الإرادة الشرعية فهي عبارة عن الأمر والنهى الشرعي وعلى هذا يمكن فهم أن الله سبحانه يحب فعل الطاعة ويرضى به ويريده ، ويكره الكفر والفسوق والعصيان ولا يريده ، فالمحبة والرضي للطاعة تأتى في نطاق الإرادة الشرعية وهى الأمر بالفعـل الحسن شرعا والكراهية وعدم الرضي للمعصية تأتى كذلك في مقام الإرادة الشرعية وهى العدول عن الفعل القبيح شرعا وقد خلط المعتزلة والجبرية في كلتا الإرادتين .[1]

والتولد يعنينا فيه الناحية العملية منه وهى مدى مسؤولية العبد عما يترتب على فعله من آثار ، فانه بشكل عام إن ترتب عليه خير أثيب عليه ، و إن ترتب عليه أذى فالقصد والنية لهما دخل في الأمر سواء في الدنيا أو في الآخرة وهو في كل حال مؤاخذ بما جنت يداه قصد إليه أم لم يقصد طالما أن الأذى لحق بغيره ، وأما في الآخرة فـ إنه إن كان قاصدا للأذى عوقب واقتص للعبد منه ، وإن لم يكن قاصدًا فعفو الله واسع ورحمته سابغة.[2]

-نظرية الصالح والأصلح :

قالت المعتزلة : بما أن الله سبحانه وتعالى يفعـل الخير ويريده ، ولا يفعل الشر ولا يريده ، بل ولا يقدر عليه عند بعضهم فان ذلك يعنى أنه سبحانه يفعـل الصالح من الأمور لعباده ، بل يجب عليه أن يفعل الأصلح منها ، وإذا فعل ما يضرهم لاستتبع ذلك ظلمهم ، وقد نفيناه عنه ، فهو سبحانه وتعالى لا يفعل إلا ما هو صالح لعباده وإلا كان ظالما لهم .[3] والحق أنه لا أحد يوجب على الله سبحانه فعل ش يء أو تركه بل هي كلمة عظيمة قالوها تدل على أنهم لا يقدروا الله حق قدره رغم ادعائهم العريض بأنهم أهل العدل والتوحيد . فـ إن الله سبحانه " يفعل ما يشاء ويختار " و"ألا له الخلق والأمر " وقوله " ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون" .

وقد اقتضت حكمته البالغة ورحمته الواسعة أن لا يفعل شيئا إلا لحكمة وعلة مقصودة فـ إنه تنزه عن العبث قال تعالى " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا" وقد خلق كل شئ بالحق والحق لا يخلو عن الحكمة ، وقد أجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، قالوا بأن أحكامه سبحانه معللة بالمصالح أى تراعـي مصلحة البشر بشكل عام وان لم يمكن أن نتتبع تلك المصلحة في أفراد الناس وفى كل حالة على حدة .[4]

فالمعتزلة يقولون هو واجب على الله سبحانه أن يراعى الأصلح للناس فهو مقتضى عدله ، وأهل السنة يقولون بل هو تفضل من الله تعالى على عباده وهو مقتضى عدله وحكمته ورحمته وعلمه ، وشتان ما بين القولين .[5]

-التحسين والتقبيح العقليان :

ذهبت المعتزلة الى أن العقل يمكنه وحده أن يدرك الحسن والقبح في الأشياء كلها وذلك لما فيها من صفات تدل على أنها حسنة أو قبيحة ، فالصدق حسن والكذب قبيح والعقل يدرك ذلك وحده حتى قبل ورود الشرع بذلك ، فالشرع إنما يأتي ليقرر ما يراه وليس ليثبته ابتداء . وبنوا على ذلك أمرين :

الأول : أن التوحيد الذي هو أحسن الأمور وأفضلها ، وكذلك الأفعال الحسنة والأفعال القبيحة يمكن إدراكها بالعقل قبل إرسال الرسل ومن ثم فإن الإنسان مُثاب على ما يفعله من حسنات ومعاقب على ما يقترفه من سيئات حتى دون إرسال الرسل وإنزال الكتب .

---

[1] المرجع السابق ص 62.
[2] المرجع السابق ص 63.
[3] المعتزلة بين القديم والحديث ص 68.
[4] المرجع السابق ص 68 و 69.
[5] المرجع السابق ص 69.

الثانى :أن العقل هو الحكم النهائي فى إدراك حسن الأفعال وقبحها ومن ثم فهو الحكم في قبول ما ورد من أحاديث ومن ثم فهو الحكم فى قبول ما ورد من أحاديث تحسن بعض الأشياء وتقبح بعضها .[١]

وقد خلط المعتزلة بين ما ه‍و نافع أو لذيذ وما هو حسن شرعا وبين ما هو ضار أو مؤلم وما هو قبيح شرعا ، والعقـل يربط تلقائيا بين الحسن واللذة والمصلحة أو بين القبح والألم والمفسدة . ولهذا لما نزلت الشرائع أبقت على أشياء مما تواضع عليه أهل الجاهلية واتفقوا على فعلها واستحسانها ، كما نهت عن أشياء لما فيها من ضرر ومفسدة ، ولم يدرك عقلاؤهم مفسدتها وإباحة دخول الرجال العديدين على امرأة واحدة حتى إذا حملت ألحقت الولد بمن شاءت منهم .[٢]

---

[١] المعتزلة بين القديم والحديث ص 70.
[٢] المرجع السابق ص 73.

المبحث الثالث : الأصلان المنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد :

يقصد المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ، منزلة مرتكب الكبيرة بين منزلتي الإسلام والكفر ، وقد كانت هذه المسألة هي رأس المسائل التى احتفى بها المعتزلة دون غيرهم من المبتدعة ، وعلى أساسها أطلق عليهم المعتزلة .[1]
وقد وافقت المعتزلة الخوارج الذين قالوا إن مرتكب المعصية كافر مخلد في النار في تخليد الفاسق في النار وليس في تكفيره ، بل أنه في منزلة بين المنزلتين ، وترتب على ذلك قولهم في الإيمان حيث ذهبت والخوارج الى أن الإيمان قول وعمل إلا أنه وحدة واحدة لا يتبعض فهو لا يزيد ولا ينقص ، وان سقط منه جزء سقط الكل .

وقد نشأت شبهتهم تلك من اعتبارهم أن الإيمان حقيقة مركبة من أجزائها التى هى أفعال الايمان فان زال منها جزء زالت عن حقيقتها بالتمام كالعشرة ان زال منها واحد صارت تسعة ولم تعد عشرة .

واستدلت المعتزلة على ذلك بأن الله تعالى يقول ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا ﴾ [2] فالعاصي مخلد في النيران بحسب تلك الآية و إن لم يكن كافرا و مؤمنا بحسب ما تدل عليه الأدلة التى رتبوها حسب فهمهم . وزعموا بان ذلك لمن لم يتب ، أى من مات وهو على كبيرته ، وأما غن تاب فإن الله سبحانه يغفر له ذنبه إما تفضلا منه عند معتزلة بغداد ، أو إيجابا عليه كما عند معتزلة البصرة .[3]
وترتب على ما سبق أن الله سبحانه منجز وعده ووعيده ، فان وعد فى القران خيرا فهو لابد وأن يجازى به العبد ، وإن توعد شرا فهو لا بد منفذه ، فالله وعد المؤمنين بالجنة ونعيمها فهو موفى وعده معهم ، و إن توعد الكافرين والفاسقين بالنار فهو لابد وأن ينفذ وعيده فيهم ، وذلك لأن إخلاف الوعيد قبيح كإخلاف الوعد سواء بسواء .
والله سبحانه تعالى ينجز وعده ، ولكن العفو عن المسئ دون بادرة منه من شيم الكرام وليس أكرم من الله سبحانه وتعالى ، فقد يعفو عمن أساء دون سبب من العبد ، وإنما بمحض الفضل والمنة هذا ولا يجوز أن يطمع الفاسق في رحمته أو أن يدفع المذنب ليصر على ذنبه فانه لا يأمن أحد مكر الله ، ولكن الحجر على رحمة الله تعالى بأن يقال أن العبد ما لم يتب فلا مغفرة له فيه تقول على الله تعالى ، وحديث عبادة السابق دال على هذا المعنى .[4]
كما أن هناك أسبابا أخرى تكفر ذنوب العباد غير التوبة منها الاستغفار والحسنات الماضية ، والدعاء للمؤمن المذنب ، والمصائب التى تلحق به ، وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .[5]

المبحث الرابع : أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

أنكر المعتزلة شرط القرشية في الإمامة ، وزعموا أن حديث الأئمة من قريش حديث آحاد لا يعول عليه حسب مذهبهم في الأحاديث ، وغالى بعضهم كضرار فقال " بأنه إن تساوى القرشي والأعجمي فالأعجمى أولى بالولاية منه . كما ذهبوا إلى أن الخروج على السلطان الجائر بالسيف واجب حال القدرة عليه ، وجعلوا من الجور الواجب الخروج بسببه أن لا يكون السلطان معتقدا لعقائد الاعتزال ، وفى هذه الحالة يجب على الناس الخروج عليه حتى يدين ببدعهم .[6]

أما عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد قال الله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [7] وقال تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

---

[1] المعتزلة بين القديم والحديث ص 73.
[2] النساء : 14
[3] المرجع السابق ص 74 و 75.
[4] المرجع السابق ص 76و 77.
[5] المعتزلة بين القديم والحديث ص 77.
[6] المعتزلة بين القديم والحديث ص 77
[7] آل عمران : 104

﴿ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[١]فجعل هذا الأصل العظيم من صفات هذه الأمة ، لهذا فأهل السنة والجماعة هم أولى بالدعاء من المعتزلة وغيرهم وإنما الفرق في المعنى المقصود ، فـإن للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شروطا عند أهل السنة منها :

1- أن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون عالما بمواضع أمره ونهيه ، وبحقيقة ما سيأمر به أو ما سينهى عنه حتى لا يخطئ فيأمر بمنكر أو ينهى عن معروف .

2- أن لا يكون أمره أو نهيه سببا فى وقوع فساد أعظم من الذي نهى عنه ، أو يمنع حدوث مصلحة أعلى من التى دعا اليها وأمر بها ، وذلك على قاعدة (احتمال أدنى المفسدين درءا لأعلاهما ، وجلب أعلى المصلحتين بتفويت أدناهما).[٢]

وقد أخذ أهل السنة والجماعة رأيهم في الخروج على ولاة الجور الذين يحكمون بالإسلام ، ولكن فيهم من ظلم أحيانا أو طرأ عليهم فسق يتعلق بشخصهم ، ولا يتعدى الى الأمر به أو تشجيعه ، فأمثال هؤلاء قال أهل السنة بعدم الخروج عليهم بالسيف نظرا لما يجره ذلك من إراقة الدماء ، وغالبا لا تحصل النتيجة المرجوة كما استقرؤا من محاولات الخروج والتغيير بالقوة ، وان كان الهدف صحيحا ونبيلا ، وان كان الأمر بالمعروف دينا .[٣]

وقد بني رأى أهل السنة هذا على ما سمعوه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى الصحيحين : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله " وعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنها ستكون بعدى أثره وأمور تنكرونها . قالوا يارسول الله ، كيف تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم "

هذه الأحاديث وغيرها واضحة في أن الطاعة وعدم الخروج إنما يكون للأمير المسلم الذي يقود المسلمين بكتاب الله وسنة رسول ، و إن ظلم أحيانا ، وهو يخالف رأى المعتزلة والزيدية والخوارج الذين يرون الخروج على أئمة الجور متى قدروا على ذلك .[٤]

<u>المبحث الخامس : مذهب المعتزلة في الحديث والتأويل :</u>

رد المعتزلة الكثير من العقائد الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كعذاب القبر وكالإيمان بالحوض والصراط والميزان والشفاعة . كما ردوا الكثير من الأحكام الشرعية الصحيحة الثابتة إما بدعوى مناقضتنها للعقل ، أو تعارضها مع الكتاب ، أو تعارضها مع أحاديث أخرى بزعمهم .

فمما زعموا معارضته للعقل حديثه صلى الله عليه وسلم : " إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فانه لا يدرى أين باتت يده" قالوا : كل الناس تعلم أين باتت يدها ، وحتى اذا قصد مس الفرج فالنائم مرفوع عنه الحرج ولا يؤاخذ بما يفعله في نومه " ولو أن رجلا مس فرجه فى يقظته لما نقض ذلك طهارته فكيف بأن يمس وهو لا يعلم ". ومما زعموا تعارضه مع الكتاب : قوله صلى الله عليه وسلم :" لا وصية لوارث " قالوا : هذا معارض بقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٥]والوالدان وارثان على كل حال .[٦]وكذلك نهيه صلى الله عليه وسلم : " أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها " إذ هو معارض لقوله تعالى﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ﴾[٧]ولم يذكر عمة الزوجة أو خالتها .

---

[١] آل عمران : 110

[٢] المرجع السابق ص 78.

[٣] المرجع السابق ص 79

[٤] المعتزلة بين القديم والحديث ص 80.

[٥] البقرة : 180

[٦] المرجع السابق ص 83.

[٧] النساء : 23

كما روى عن أبى بكر بن محمد أنه قال : " قال عمرو بن عبيد : لا يعفى عن اللص دون السلطان قال فحدثته بحديث صفوان بن أمية عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال : فهلا أن تاتينى به. قال : أتحلف بالله أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ؟ قلت : افتحلف أنت بالله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقله" .وقد كان هذا المنهج من أحوال أهل البدعة التى جروا عليها لشدة الأحاديث عليهم بما تقرره من الحق المخالف لمبتدعات عقولهم.[1]

أما بالنسبة لمذهب المعتزلة في التأويل فبعد أن قررت المعتزلة عقائدها عن طريق مناهجها العقلية ، كان لابد لهم من استحداث طرق لرد تلك الآيات والأحاديث الصريحة الصحيحة التى تخالف ما وصلوا إليه ببدعهم حرصا على مقرراتهم العقلية .ففي الأحاديث الشريفة رد المعتزلة صحيحها بدعاوى متهافتة فزاغوا في العقيدة والشريعة معا ، وكان تمويههم بأنها أخبار الآحاد طريقا سهلا للتخلص منها .وأما الآيات القرآنية فقد تعذرت تلك الدعوى عليهم بشأنها إذ هي قطعية الثبوت والمخالف لذلك كافر لا محالة ، فلجئوا الى طريق أخبث، وهو التأويل الذي فتحوا بابه ، فحرفوا الكلم عن مواضعه بغيا وعدوانا .[2]

الخاتمة

قد استعرضنا فيما سبق عقائد المعتزلة التى آمنوا بها ، وعملوا على إذاعتها ونشرها بين الناس واستعرضنا كذلك لأهم علماء المعتزلة الإمام الزمخشري صاحب أهم التفاسير الكشاف وكيف أنه وظف فكره الاعتزالي في تفسير آيات القرآن وإبراز مذهبه فيها .
وأحمد الله العلي العظيم بأن وفقنا لتعلم العقيدة الصحيحة السليمة على نور من الكتاب والسنة وسلف الأمة الصالح الذين سخروا أنفسهم وأفنوا أعمارهم لحفظ الشريعة، وأسأله تعالى أن يسخرنا في الذب عنها والرد على أهل الباطل على الوجه الذي يحبه ويرضاه منا، وأبرئ إلى الله من أن أقول عليه بلا علم، أو أن أنسب إلي أحدٍ من خلقه خلاف قوله، لقصرٍ في فهمي أو نقلي، ولطالما وقفت مراراً وتكراراً على هذه الصفحات اليسيرة خوفاً من ذلك ، وإني أعلم رغم ما بذلت فيه من جهد أنه لا يخلو من التقصير والأخطاء كعمل البشر فما كان صواباً فيه فهو من توفيق الله لي، وما كان خطأ فهو من نفسي والشيطان..
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

---

[1] المرجع السابق ص 84.
[2] المعتزلة بين القديم والحديث ص 91.

المراجع

- القرآن الكريم .

- أصل العدل عند المعتزلة لهانم إبراهيم يوسف دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى عام 1993م.

- التوحيد والعدل عند المعتزلة وأثرهما في اللغة د / حمدي بخيت .

- المعتزلة لزهدى جار الله ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت عام 1974.

- المعتزلة بين القديم والجديد لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم ، دار الأرقم برمنجها م ، الطبعة الأولى 1987م.

- تاريخ المعتزلة فكرهم وعقائدهم د/ فالح الربيعي ، الدار الثقافية للنشر ،

- منهج الزمخشرى في تفسير القران وبيان إعجازه ، د/ مصطفى الصاوى الجوينى ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعرف بمصر ، الطبعة الثانية .

- بالإضافة الى بعض النقول من مصادر إلكترونية ذكرت في المراجع السابقة .